

## توظيف شخصية المتصوف محي الدين بن العربي في شعر البياتي

### قصيدة عين الشمس "تمودجاً"

الصادق آدم عمر

عمادة البحث العلمي – جامعة السودان المفتوحة

شارع عبيد ختم، شمال القسم الشرقي، أركويت، الخرطوم، السودان

#### المستخلص:

يهدف هذا البحث لمتابعة أكثر الشخصيات الصوفية إثارة للجدل في تاريخ التصوف الإسلامي، شخصية المتصوف محي الدين بن العربي، كما تنعكس في واحدة من قصائد القناع في الشعر العربي الحديث للشاعر العراقي عبدالوهاب البياتي: قصيدة عين الشمس أو تحولات محي الدين بن العربي في ديوان ترجمان الأشواق. والتي يوظف فيها البياتي قناع محي الدين بن العربي. وتكمن أهمية دراسة هذا الموضوع في إظهار العلاقة بين الأدب العربي المعاصر والتصوف الإسلامي. وبالتالي فتح المجال لدراسات مستقبلية تتناول أوعية صوفية وظفها الأدب العربي الحديث، والغرض من هذا التوظيف، وكذلك طرح جدلية العلاقة بين الأدب والتصوف، وفي هذا أيضاً يكمن هدف هذه الدراسة. من حيث المبنى، ستكون هذه الدراسة تحليلية، حيث يتم متابعة وتحليل المستوى الصوفي في قصيدة الشاعر العراقي عبدالوهاب البياتي. هذا وسيحتل المقطعان الأول والأخير من القصيدة الطويلة - التي تتألف من ثمانية مقاطع - الحيز الأكبر من التحليل، وتوصلت الدراسة إلى نتائج عدة من أهمها: إن تجربة البياتي في قصيدته هذه، محاكاة لتجربة محي الدين بن العربي في ترجمان الأشواق، تحدث البياتي عن علاقة ابن العربي بالله، ليشير إلى علاقته هو مع الشعر والقصيدة، فنلاحظ توظيف البياتي للأفكار الصوفية التي يشخصها المتصوفة من القرون الوسطى، كفكرة حدوث العالم بالولادة، توحيد الواحد في الكل، اللاهوت والناسوب، كما نجد أن هذه الأفكار التي وظفها البياتي أكدت وتؤكد فكرة حب الشاعر لقصيدته والتوحد بها، وختمت الدراسة ببعض التوصيات كما ذيلت بالمصادر والمراجع.

#### Abstract

This research aims to follow up on the most controversial Sufi figure in the history of Islamic mysticism, the personality of the Sufi mystic Muhyiddin Ibn al-Arabi, as reflected in one of the poems of the mask in the modern Arabic poetry of the Iraqi poet Abd al-Wahhab al-Bayati: the poem Ain al-Shams or the transformations of Muhyiddin Ibn al-Arabi in the Diwan of Tarjuman al-Ashwaq. . In which al-Bayati employs the mask of Muhyiddin Ibn al-Arabi. The importance of studying this subject lies in showing the relationship between contemporary Arabic literature and Islamic mysticism, thus opening the field. For future studies dealing with mystical masks employed by modern

Arabic literature, and the purpose of this employment, as well as to put forward the dialectic of the relationship between literature and mysticism, and in this also lies the goal of this study. In terms of structure, this study will be analytical, as the mystical level in the poem of the Iraqi poet Abdul Wahhab Al-Bayati is followed up and analyzed. The first and last syllables of the long poem - which consists of eight syllables - will occupy the largest part of the analysis. .talk about Ibn al-Arabi's relationship with God, to refer to his relationship with poetry and poem. It confirms the idea of the poet's love for his poem and uniting with it, and the study concluded with some recommendations as appended to the sources and references.

أ. التناسل الصوفي في قصيدة: عين الشمس أو تحولات محي الدين بن العربي في ديوان ترجمان الأشواق، في قصيدة "عين الشمس

أو تحولات محي الدين بن العربي في ترجمان الأشواق، يقول الشاعر العراقي: (عبد الوهاب البياتي، 1997م، 45) "أحمل قاسيو

ن

غزالة تعدو وراء القمر الأخضر في الديجور ووردة أرشف فيها فرس المحبوب وحملًا يثغو وأبجدية

أنظمة قصيدة، فترتمي دمشق في ذارعة قلادة من نور أحمل قاسيون تفاحة أقضمها وصورة أضمرها تحت قميص الصوف

أكلم العصفور وبردي المسحور

فكل اسم شارد ووارد أذكره عنها أكني واسمها أعني وكل دار في الضحى أندبها فدارها أعني توحد الواحد في الكل والظل في

الظل وولد العالم من بعدي ومن قبلي

كلمي السيد والعاشق والمملوك والبرق والسحابة

والقطب والمريد وصاحب الجلالة

أهدي إلى بعد أن كاشفني غزالة لكنني أطلقتها تعدو وراء النور في مدائن الوطن المفقود فسلخواها قبل أن تذبح أو تموت

وصنعوا من جلدها ربابة ووت أر لعود

وها ان أشده فتورق الأشجار في الليل ويكي عندليب الريح وعاشقات بردي المسحور والسيد المصلوب فوق السور

تقودني أعمى إلى منفاي عين الشمس

تملكني مثلما أملكها تحت سماء الشرق

وهبتها ووهبتني وردة ونحن في مملكة الرب نصلي في انتظار البرق ولكنها عادت إلى دمشق مع العصافير

ونور الفجر تاركة مملوكها في النفي 7

عبدًا طروبًا أبقًا مهيا للبيع وميتا وحي

يرسم في دفاتر الماء وفوق الرمل جبينها الطفل وعينها وومض البرق عبر الليل وعالمًا يموت

أو يموت قبل صيحة الموت أو الميلاد

عدت إلى دمشق بعد الموت أحمل قاسيون أعيده إليها مقبلاً يديها

فهذه الأرض التي تحدها السماء والصحراء والبحر والسماء طاردي أمواتها وأغلقوا على باب القبر وحاصروا دمق

وأوغروا على صدر صاحب الجلالة من بعد أن كاشفني وذبحوا الغزالة لكنني أفلت من حصارهم وعدت

أحمل قاسيون تفاحة

أقضمها وصورة

أضمها تحت قميص

الصوف من يوقف النزيف

وكل ما نخبه يرحل أو يموت

يا سفن الصمت ويا دفاتر الماء وقبض الريح موعدا ولادة أخرى وعصر قادم جديد يسقط عن وجهي وعن وجهك فيه

الظل والقناع وتسقط الأسواق (ديوان، البياتي، 1997م، 45)

تتحدث هذه القصيدة بمضمونها العام عن تجربة محي الدين بن العربي في الحب؛ تلك التجربة التي شخصها ابن العربي شعراً

في كتابه ترجمان الأشواق، حيث يلمح ابن العربي إلى محبوبة اسمها "النظام" ولقبها "عين شمس" ومن الواضح أن لهذا اللقب

دلالاته، فالعين عند البياتي هي الوساطة التي يعبر بها عن جمال الحق وجمال أسمائه وهي الأداة التي يسخرها ليتمكن من

عكس صورة الله، وفي القصيدة المشار إليها تدلل العين على جمال المحبوبة التي تتراءى للشاعر بجمال الشمس، 1882،

(Hakki) وهذه المحبوبة امرأة أرضية ترمز للمعشوق الأكبر لدى محي الدين بن العربي وهو الله؛ نستند في ذلك على أن الغزل

الوارد في ديوان ترجمان الأشواق صوفي يظهر بلباس الغزل الأرضي التقليدي. وهذا ما يؤكد ابن العربي في كتابه ذخائر الأعلاق. فحين نقرأ ترجمان الأشواق نظن للوهلة الأولى أننا أمام غزل عذري؛ إلا أنه في الحقيقة غزل صوفي إلهي، فعين الشمس — محبوبة ابن العربي هي الوسيلة للوصول إلى الله.

وابن العربي ليس وحيداً في هذا التوظيف بل لجأ معظم شعراء الغزل الصوفي الذين قصدوا الذات الإلهية بغزلهم الصوفي إلى التغزل بفتاة مجردة، كليلي، علوة، والنظام لدى ابن العربي، وهذه الفتاة المجردة تكون رمزاً للذات الإلهية، أو طريق للذات الإلهية (حيدر، 1999م، 20)

إن توظيف البياتي لشخصية محي الدين بن العربي لم تكن مجرد توظيف تراثي عابر فحسب، بل هي شخصية لها مكانتها وتأثيرها الخاصين لدى البياتي، حيث يقول البياتي في ذلك: كان مفتاح دخولي إلى عالم ابن العربي هو الحب الذي كان يدعو إليه، وليس من باب الموت والشهادة، فعالم ابن العربي أغنى من عالم الحلاج وأكثر خصوبة، وهكذا ترى أنني أعيش بعمق حالاتي الشعرية، بل الأصح أنني أعيش شعري قبل ولادته وبعدها. (سنير، 2002م، 177)

تمتد هذه القصيدة على ثمانية مقاطع مرتبة بدون عناوين، يتحدث فيها محي الدين بن العربي القناع في القصيدة، حيث يختبئ الشاعر من ورائه، المعاني هي معاني ابن العربي، لكنها محالة وعبر القناع إلى عبدالوهاب البياتي. تبدأ القصيدة بحديث ابن العربي الذي يحمل محبوبته من قاسيون الدمشقية (درويش، 1997م، 67) ويتوحد فيها لشدة عشقه لها (سنير 2002م، 23) فهي غزالة تعدو وراء القمر الأخضر في الظلام، ووردة يرشف فيها فرس المحبوب، وتفاحة يقضمها، وصورة يضمها تحت قميص الصوف، كل ذلك إشارة لشدة عشقه لها، والبياتي يحيل ومنذ البداية هذا الحب إلى الله، فعين الشمس التي ترمز إلى الله، غزالة تعدو وراء القمر الأخضر في الظلام، وهي رمز لنور الهداية، الذي يحيلنا بطبيعة الحال إلى الله، وهي وردة يرشف فيها فرس المحبوب، أي عن طريقها يصل ابن العربي إلى محبوبه الله.

والقصيدة في معانيها مبنية على علاقة وصل واحدة هي العشق، فحال ابن العربي مع محبوبته الأرضية عين الشمس التي هي طريق لله حال العشق. والعشق في الفكر الصوفي هو المحبة، والمحبة كما تقول الصوفية هي الحال الثالثة من الأحوال الصوفية، وهي أساس كل الأحوال العالية وهي الإرادة، ومراد القوم من المحبة ليس الإرادة، لأن الإرادة لا تتعلق بالقديم (الله)، إلا إذا

حملت على إرادة التقرب لله، أما محبة الخالق لعبده، فهي إرادة لعبده، فهي إرادة نعم فالرحمة أخص من الإرادة، والمحبة أخص من الرحمة. ومن وراء تلك المعاني، في القصيدة المشار إليها، تتكشف خيوط أخرى هي الطبقة الأخيرة للمعاني، تلك المعاني التي تخص البياتي نفسه، وكأن البياتي يقول إن حاله مع قصيدته هي حال العشق أيضاً، ويبدو أن البياتي يوظف معاني العشق الصوفي عبر الأقنعة الصوفية ليتحدث عن الشعر و الكتابة، إن البياتي يكتب هذه القصيدة في جبل قاسيون عند ضريح ابن العربي، وذلك كما يظهر من خلال مذكراته، فهو يستحضر الماضي بمكان الحاضر، ويعبر عن حالته الشعرية الراهنة عبر العودة إلى تراث الصوفي محي الدين بن العربي (عوض، 1999م، 54)

إن تجربة البياتي في قصيدته هذه، محاكاة لتجربة محي الدين بن العربي في ترجمان الأشواق، فيتحدث البياتي عن علاقة ابن العربي بالله، ليشير إلى علاقته هو مع الشعر والقصيدة، فنلاحظ توظيف البياتي للأفكار الصوفية التي يشخصها المتصوفة من القرون الوسطى، كفكرة حدود العالم بالولادة، توحيد الواحد في الكل، اللاهوت والناسوت. وفي هذا السياق، يقول البياتي: " ثم جاءت مرحلة ابن العربي في شعري ميتافيزيقية خالصة، لكنها ميتافيزيقيا تاريخية، أي ناتجة عن معاناة وجودية، لأن المعاناة تصبح مجرد ملامسة للشعور الميتافيزيقي وليست غوصاً في أعماقه (المرجع السابق، 282-283)

9

إن الأفكار التي وظفها البياتي تؤكد فكرة حب الشاعر لقصيدته والتوحد بها كما يتوحد الصوفي بالله؛ وهذا ما يؤكد البياتي: ولهذا فإن حي لن يموت، والمرأة التي أحبها لن تغيب أو تموت أبداً، ذلك لأن الحب الذي هو جوهر الوجود الفاعل يبقى هو هو، أما الصور فتتغير، ولكن المرأة المحبوبة إذا ماتت فإن روح حبها يحل في امرأة أخرى تقوم من رمادها، تصل الحب الأرضي بالحب الإلهي، وهذا ما نفتقده دائماً في حياتنا، وهذه هي وظيفة الشعر التي تدفع الإنسان للتمرد على واقعه، والتمرد على الصبغ المصنوعة التي وراءها من التقاليد والعادات، ولجعل الحياة أكثر سعادة وأملًا وإيمانًا بالإنسان (الصايغ، 1996م، 202-203)

إن محبوبة ابن العربي الموصوفة بالغزالة، تنطلق من كهف الظلمة إلى اخضرار المعاني، إلى النور، إلى الحياة، هكذا أصبحت غزالة ابن العربي، تعني له كل شيء، تفاحة يقضمها، قلادة من نور، رمزاً بخضرة الحياة، ليتوحد فيها توحيد الواحد في الكل والظل في الظل، فالغزالة أو عين الشمس تقود ابن العربي نحو النور، والقصيدة تخرج البياتي الشاعر من ظلمة المرحلة الصعبة

من عمر الأدب نحو النور، فالدياجير التي يشير إليها البياتي، والتي تسير غزالة ابن العربي فيها نحو الضوء، وما هي إلا رمز لحالة الشعر الصعبة والمتزهلة في عصر البياتي (سنير، 2003م، 37) وهنا لا بد من الإشارة إلى أن نظرية توحيد الواحد في الكل، أو وحدة الوجود، هي خيال يقوم على أن هذا العالم المختلف في أشكاله، ليس سوى مظاهر متعددة لحقيقة واحدة، هي الوجود الإلهي، ومن هذه النظرية تفرقت جميع آراء ابن العربي وخیالاته، لأنها في الحقيقة عقدة نظامه (الصوفي، 1998م، 67) وفي السطور الأخيرة من المقطع الأول للقصيد يشير البياتي وبوضوح إلى فكرة ابن العربي في مبدأ الوحدة والكثرة، التي لطالما عالجها ابن العربي بمصطلحاته الميتافيزيقية، بالتمثيل والتشبيه بالمجازات المفرقة ممثلاً للفكرة، مجتازاً طرائق شرح الفكرة، كالتجلي في المرأة، والتخلل والسرمان والتعرف، والله هو واحد في كثرة أو هو جامع لحقائق العالم المتفرقة، كما عين الشمس عند ابن العربي جامعة لكل الرموز من الخضرة والقلادة النوارنية والغزالة والتفاحة.

إن عين الشمس في قصيدة البياتي، كما هي في ديوان ابن العربي، الرمز الجامع لكل الرموز الأخرى، يتحد الصوفي فيها ليلغ الله، ويتحد بها فيضمها إليه صورة تحت قميص الصوف، الذي يرتديه المتصوفة (عوض، 1999م، 21) فالشاعر يعايش مرحلة سوداوية، ويريد من الغزالة أن تزيل السواد عن دمشق، وعن القصيدة والشعر، وعن الحضارة العربية، كل هذه الثلاثة كانت في زمن واحد زمن ابن العربي، حين كان الفكر العربي الصوفي حاضراً، وحين كانت دمشق في أوج ازدهارها (المصدر السابق، 24) والشاعر بفصيدته هذه، وقناعه هذا، يلمح إلى رغبته الكبيرة في التخلص من هموم المرحلة الراهنة على كافة الأصعدة.

البياتي الشاعر من وراء ابن العربي القناع، يعلن حالة الرفض على ثوابت المجتمع الجديدة، ويضمونها الشعر والكتابة، فينادي مطالباً أن تعود حرية الكلام في الأدب، كما كانت موجودة من قبل، وهذه العودة هي "بعث" ومع هذا البعث تسقط كل أقنعة الزيف، ويتلاشى الظل (منصور، 1999م، 89)

إن قصيدة البياتي هذه ومن وراء التحليل أعلاه، وباعتماد على المرجعيات السابقة، قصيدة تتخذ مساراً متعدد السياقات، لكنه مزدوج الدلالة، في النهاية سنصل حتماً بعد هذا الإزدواج الدلالي إلى دلالة فارقة واحدة كما يظهر من خلال الشرح المبسط التالي:

العاشق الصوفي = البياتي الشاعر

يتحد مع يتحد مع

عين الشمس (المعشوقة) = القصيدة (معشوقة البياتي)

الدلالة الفارقة: الوصول إلى الله الدلالة الفارقة: تطهير القصيدة من كل عوالق الكتابة (الرقابة)

إن البياتي في قصيدته هذه، استطاع أن يخرج من التجربة الغنائية للقصيدة التقليدية، سيما وأنه وظف القناع الصوفي الذي استطاع من خلاله أن يعبر عن رؤياه الجديدة المعقدة تجاه قضايا الشعر وقضايا الإنسان (ثامر، 1975م، 14) برغم ما يلتبس القصيدة من غموض وغرابة في اللغة والمضمون.

إن شخصية محي الدين بن العربي التي يوظفها البياتي كقناع في هذه القصيدة، هي شخصية "مفهومية"، ونعني بذلك تلك الشخصية التي تصبح في القصيدة أصلاً لفلسفة الشاعر، أو بكلمات أخرى هي تلك الشخصية التي استطاع الشاعر من خلالها نقل فكرته، تلك هي الشخصية التي تحدث عنها (صباحي، 1998م، 64) من هنا نستطيع الافتراض أن قصيدة البياتي تأثرت من فكر الفلاسفة المحدثين أيضاً، كما تأثرت من فكر الفلاسفة القدماء.

وقد وظف البياتي في قصيدته هذه جملة من الأفكار الصوفية، سبق وأن ذكرنا بعضاً منها، لكن تتفرد في هذا الصدد فكرة صوفية وظيفها البياتي فكرة وحدة الوجود، وهذه الفكرة بطبيعة الحال تشير إلى القناع ابن العربي، الذي يعتبر المؤسس لهذه الفكرة في الفكر الصوفي وإنه وإن كانت هناك أفكار سابقة لمتصوفة آخرين سبقوا ابن العربي في وحدة الوجود، إلا أنه يعتبر صاحب نظرة خاصة في هذه الفكرة (الزين، 1988م، 44) وتوظيف البياتي لفكرة وحدة الوجود إنما قد تشير لكونه صاحب نظرة خاصة تجاه الشعر، كما هي نظرة ابن العربي الخاصة في وحدة الوجود فكأن البياتي يقصد نفسه حين يتحدث عن ابن العربي، إن وعي البياتي لفكرة ابن العربي هذه، ولأفكار الصوفية عامة،

12

إنما تشير إلى وعي البياتي للفكر الصوفي، وفهمه لهذا الفكر بشكل يتجاوز السطح نحو الغور.

التناسق الصوفي في العنوان في شعر البياتي:

يملك العنوان التأثير الأكبر في النص الأدبي، لا سيما أنه يخلق الانطباع الأول لدى القارئ (الماضي، 2005م، 124) والبياتي وغيره من الشعراء الذين وظفوا الفكر الصوفي بداية في العنوان، يدركون هذه الحقيقة حول أهمية العنوان والعنوان له القيمة الأكبر في توضيح قيمة النص ومعناه، ليس فقط لأنه يضع النص ضمن سياق معين، إنما لأنه يخلق جهاز التوقعات عند القارئ لدى القارئ، والتناص في العنوان يحاور النصوص السابقة له زمنياً، يؤكد لها، يدحضها، من هنا يضطلع العنوان في التفاعل مع النصوص السابقة، وبالتالي يشترك في إنتاجية المعنى (الجزار، 1997م، 67)

والعنوان يعين القارئ على تحديد هوية العمل الأدبي بشكل عام، والعنوان ليس مجرد عمل عرضي في النص، بل هو عمل أساسي في المنظومة الإستراتيجية الجمالية للنص (داغر، 1987م، 12) ويملك قوته الخاصة في قراءة النص والعنوان موضع اتصال كبير ونقطة التقاء مهمة جداً يلتقي فيها الكاتب والقارئ والعنوان هو نص صغير يتموقع فوق النص الكبير، ويحيط المعنى العام للنص، بواسطة وسائل متنوعة مثل الإضافة، التلخيص، التمثيل، التركيز وغيرها.

وثمة أنواع للعناوين منها العناوين المؤشرة، حيث يكون هدفها الأول توجيه القارئ لإيجاد العمل المطلوب في فهرس الكتاب، ومنها العناوين الدلالية، حيث تشير هذه العناوين إلى مضمون العمل الأدبي كالقصيدة مثلاً، وبالتالي توجيه القارئ العنوان المتمم، وهو العنوان الذي لا يكتمل معنى القصيدة بدونه وهو جزء من القصيدة،

11

مضمون الإنتاج الأدبي، العنوان الساخر، وهو الذي يكسر أفق توقعات القارئ، العنوان المتمم، وهو العنوان الذي لا يكتمل معنى القصيدة بدونه وهو جزء من القصيدة، العنوان المحيط، حيث لا يلتزم بمضمون النص ويحوي بعض التعقيد، العنوان الاتجاهي، ويعكس موقف الكاتب بموضوع معين، العنوان الموجه، وهو يطرح سؤالاً مبدئياً أو يلخص أفكاراً، العنوان الإطار، وهو العنوان الذي يتطابق مع كلمات القصيدة، العنوان الداخلي، وهو العنوان الذي لا يمت للنص بصلة، العنوان الإهدائي، وهو العنوان الذي يكرس لإهداء شخص ما النص الأدبي (الماضي، 2004م، 56)

في قصيدة عين الشمس أو تحولات محي الدين بن العربي في ترجمان الأشواق للشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي، نجد أن الإحالات الأولى للتناص تبدأ من العنوان، حيث يشير البياتي بوضوح إلى قصة المتنصوف الشهير محي الدين بن العربي فيما

يتعلق بأخبار كتابته لديوان ترجمان الأشواق، حيث قام محي الدين بن العربي بشرح الديوان بنفسه، وهذا الشرح ما يشير إليه البياتي بالتحولات (سنير، 2002م، 189) إذا البياتي يتناص منذ البداية القصة التاريخية لابن العربي مع ديوانه، عبر العنوان. إن علينا أن نتذكر أن القصيدة في جوهرها (بدءاً في عنوانها) تأويل معاصر لتجربة المتصوف الكبير محي الدين بن العربي في ديوان ترجمان الأشواق الذي كتبه في التغزل بفتاة رومية، وقد أثار هذا الشعر خصوم الشيخ إلى حد اضطر معه إلى الامتثال لكل من بدر الحبشي أمير دمشق (ت 681هـ)، والشيخ إسماعيل بن سودكين أبو الطاهر الثوري الحنفي (ت 646 هـ) بأن يشرح الديوان مؤكداً إنما سلك طريق التغزل والتشبيب من أجل الحديث عن مقاصد ربانية وأسرار روحانية (سنير، 2002م، 169).

والعنوان في القصيدة يحتمل الكثير من التفسيرات والشروحات، فعبارة عين الشمس، التي يبدأ العنوان بها، تحيلنا كقراء إلى مدلولات كلمتي عين وشمس في المعجم الصوفي، فالعين هي عين الله وعين العالم، وهي إشارة إلى الإنسان الكامل، يقول: (القاشاني، 1981م، مادة عين بدون صفحات) في العين: هو الإنسان الكامل، المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى، لأن الله تعالى ينظر بنظره إلى العالم، فيرحم به الوجود كما قال: لولاك لما خلقت الأفلاك، والإنسان المتحقق بالاسم البصير لأن كل ما يبصر في العالم من الأشياء فإنه يبصر في هذا الاسم.

ولفظه الشمس لها مدلولات صوفية أيضاً في هذا السياق، فهي النور أي الله، ويجعلها بعض المتصوفة كناية عن الروح، لأن الروح في البدن بمنزلة الشمس (أبو خزام، 1993م، 123) كل هذا يثبت تأثر البياتي بالمعجم الصوفي في قصيدته هذه. وعين الشمس هي محبوبة ابن العربي، والمكناة "النظام" وهي عند محي الدين بن العربي رمز للحقيقة الكونية الكبرى أو الله، وهي الوسيلة للوصول إلى الله (المصدر السابق) إذاً العنوان يحيلنا مباشرة كقراء إلى محبوبة ابن العربي التاريخية، وإذا حاولنا تأويل هذه الخصوصية التي يفتتح فيها الشاعر قصيدته عبر العنوان، لقلنا إن ذلك لم يكن شيئاً عرضياً بل هو نتاج طبيعي لتأثر البياتي الشاعر بابن العربي في باب موضوع الحب، حيث يقول البياتي في الأوتو- بيروغرافيا: كان مفتاح دخولي إلى عالم ابن العربي هو الحب الذي كان يدعو إليه، وليس من باب الموت والشهادة (عوض، 1999م، 78)

ويمكن تأويل تأثير البياتي بهذا الحب، بذكر عين الشمس في البداية، فرمما أحالت عين الشمس إلى عائشة محبوبية البياتي (سنير، 2002م، 34) فالمرأة لدى البياتي بشكل عام، وفي الكتابة الشعرية العربية الحديثة تشكل ازدواجية الآخر (ابن مسعود، 1994م، 90) فحين يرتبط ابن العربي بعين الشمس قبل مئات السنين في علاقة توحد حب، يرتبط البياتي الآن بعائشة، كما يرتبط كل شاعر حدائي بمحوبة يضمها على طول قصائده (أبو حسين، 2005م، 234)

وكلمة تحولات في سياق العنوان، لا بد وأن تحيل مباشرة إلى تحول ابن العربي في موقفه مما كتب من غزل عادي في ديوانه، ليعيد شرحه على أنه غزل صوفي (سنير، 2002م، 124) فكلمة تحول بمعناها القاموسي تعني الانتقال من مكان إلى آخر، وابن العربي ينتقل من حالة الغزل العذري إلى حالة الغزل الصوفي، وربما قصد البياتي بذلك تحولاً طرأ في حياته هو، أو إلى تحول في نظره هو إلى ابن العربي، يقول البياتي في ذلك:

بعد مقتل أبي فارس وإعدام الحلاج وإحراقه، شعرت باليتم والغربة، خاصة وأن المعري قد غادرني، فكان لا بد من صديق، بدأت أبحث في العالم، وفي كتب التراث، ذات يوم في القاهرة، خطر لي أن اتصفح كتاب الفتوحات المكية من جديد أصبت بمس شعري هرعت إلى إعادة شراء كتاب ترجمان الأشواق والفتوحات المكية وكانت متيسرة في المكتبات آنذاك، لا يخاف منها أحد كما يخافون الآن، أعدت قراءة ابن العربي بقراءة واعية ممتعة، كنت أحس بارتياح شديد، وأنا انتقل من كلمة إلى كلمة ومن صفحة إلى صفحة، كانت عيني تلتهب، وأنا انتقل بين الصفحات وجدت ضالتي، توقفت شعرت أنني أدخل عالم ابن العربي، طفت معه حول الكعبة فيما وقعت عيناه على عين الشمس، بعد انتهائي من هذه القراءة، عدت إلى دمشق لزيارة قبره بالصالحية عند سفح جبل قاسيون، عند الضريح تسمرت حين وجدت إحدى حفيدات عين الشمس، تنبرك بضريح الشيخ الأكبر، كانت هذه الحفيدة، مطابقة في صورتها، لصورة جدتها التي وصفها محي الدين ابن العربي في ديوانه وفي قصائده (عوض، 1999م، 282 - 287).

في الحديث أعلاه ما يؤكد ربط البياتي - وعبر العنوان - الصوفية والتاريخ، بالحلم والأسطورة، وهذه الموضوعات تشكل موتيفاً متكرراً في الكتابة الشعرية الجديدة (سامي، 2001م، 174) حيث يربط البياتي في هذا الصدد، -عبر العنوان - قصة

ابن العربي مع محبوبته وترجمانه "التاريخ"، مع التحول في تفسير ابن العربي "الصوفية"، بقصته مع الفتاة التي وجدها عند ضريح القبر "حلم وأسطورة".

على ضوء ذلك، يمكننا القول إن البياتي أراد بذلك أن التحولات التي عاشها ابن العربي، يعيشها هو اليوم: ومن هنا فإن القصيدة لا تقدم تحولات محي الدين بن العربي فحسب، وإنما تحولات عبدالوهاب البياتي أيضاً، وهذا الحكم يضعنا وجهاً لوجه، أمام مسألة العلاقة بين القصيدة والمادة التاريخية التي استمدت منها. إن هذه العلاقة تطرح واحداً من أعقد الإشكالات التي يواجهها النقد المعاصر (الشمعة، 2002م، 79).

## الخاتمة

لقد وظف الشعر العربي المعاصر الفكر الصوفي، مصحوباً برموزه وأشخاصه وسيرهم الذاتية، تماماً كما فعل الشاعر العراقي عبدالوهاب البياتي في قصيدة عين الشمس. فقد وظف البياتي الفكر الصوفي الخاص بمحي الدين بن العربي الذي من خلاله حاول البياتي التعبير عن قضايا شخصية وأخرى ميتاشعرية. ومن خلال هذا السرد نخلص للنتائج الآتية:

1. فقد كان القناع وسيلة مناسبة للتعبير عن كل قضايا الشاعر وهوموه.

2. إن تجربة البياتي في قصيدته هذه، محاكاة لتجربة محي الدين بن العربي في ترجمان الأشواق.
3. تحدث البياتي عن علاقة ابن العربي بالله، ليشير إلى علاقته هو مع الشعر والقصيدة، فنلاحظ توظيف البياتي للأفكار الصوفية التي يشخصها المتصوفة من القرون الوسطى، كفكرة حدوث العالم بالولادة، توحد الواحد في الكل، اللاهوت والناسوت، هذه الأفكار التي وظفها البياتي أكدت وتؤكد فكرة حب الشاعر لقصيدته والتوحد بها.
4. إن البياتي في قصيدته هذه، استطاع أن يخرج من التجربة الغنائية للقصيدة التقليدية، سيما وأنه وظف القناع الصوفي الذي استطاع من خلاله أن يعبر عن رؤياه الجديدة المعقدة تجاه قضايا الشعر وقضايا الإنسان، برغم ما يلتبس القصيدة من غموض وإغراب في اللغة والفكرة.
5. البياتي حين وظف محي الدين بن العربي، قصد القول إن التحولات التي عاشها ابن العربي، يعيشها هو اليوم، ومن هنا فإن القصيدة لا تقدم تحولات محي الدين بن العربي فحسب، وإنما تحولات عبدالوهاب البياتي أيضاً.

#### التوصيات:

يوصي الباحث بأن تكون هناك دراسات ذات عمق في علاقة الأدب بالتصوف وخاصة الرمزية عند الشعراء الصوفيين، لفك التعقيدات الرمزية وحملها علي حقيقتها دون تأويل.

#### قائمة المصادر والمرجع:

1. ابن العربي، محي الدين، ذخائر الأعلاق، شرح ترجمان الأشواق، بيروت: د.ن. 1312هـ.
2. ابن العربي، محي الدين، الفتوحات المكية، السفر الأول. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. (1972م).

3. ابن العربي، محي الدين، ترجمان الأشواق، ضبط نصوصه وقدم له، عمر الطباع، بيروت، دار الأرقم، 1997م.
4. أبو حسين، محمد صبحي، صورة المرأة في الأدب الأندلسي. أريد عالم الكتب الحديث، 2005م.
5. أبو خزام، أنور فؤاد، معجم مصطلحات الصوفية. لبنان: ناشرون. 1993م.
6. بنمسعود، رشيدة المرأة والكتابة. ط.1، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق. 1999م.
7. البياتي، عبد الوهاب، مملكة السنبلة. ط.1 بيروت: دار العودة. 1979م.
8. ثامر، فاضل، معالم جديدة في أدبنا المعاصر. العراق: منشورات وزارة الإعلام. 1975م.
9. الجزار، محمد فكري، العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1998م.
10. حيدر علي، مدخل إلى دراسة التصوف، ط.1، دمشق: الشمس للنشر. 1999م.
11. داغر، شربل الشعرية العربية الحديثة، الدار البيضاء، دار توبقال. 1988م.
12. درويش، أسيمة، تحرير المعنى، دراسة نقدية في ديوان أدونيس الكتاب 1، بيروت: دار الآداب. 1997م.
13. الزين، عاطف سمبح، ابن عربي. بيروت: دار الكتاب اللبناني. 1988م.
14. سامي، سحر، التناص الديني في شعر محمود درويش، المختلف الحقيقي د ارسات وشهادات. رام الله: دار الشروق. 1999م.
15. سنير، رؤوبين، تقنية القناع: دلالات الحضور والغياب، فصول، 2002م.
16. الصايغ، عدنان النصار، عبد الوهاب البياتي ما يبقى من الطوفان، د.م: نادي الكتاب العربي. 1996م.
17. عوض، ريتا، جدلية التواصل والانقطاع، حوار الحداثة والتراث بين البياتي وابن العربي، 1997م.
18. القاشاني، عبدالرازق، اصطلاحات الصوفية تحقيق وتقديم وتعليق: عبدالعال شاهين. ط.1، القاهرة دار المنار، 1995م.
19. الماضي، ناريمان، العنوان في شعر عبدالقادر الجنابي. حيفا: جامعة حيفا. 2005م.
20. منصور، إبراهيم محمد، الشعر والتصوف، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، طنطا: جامعة طنطا. 1999م.

#### المصادر الأجنبية:

1. hakki, Ismail, translation of a commentary on fusus al hikam. London oxford university. 1980.

- 
2. Elmor Geiald. *The BluagDiwan of Ibn AL arabi*.journal Arabic Lietrature.1998.
  3. Taha Ibrahim. *The power of The title why have you Left the Horse Alone by Drawish* journal of Arabic and Islamic studies.2001.